**الفلسفة اليونانية قبل أفلاطون:**

كان للفلسفة مدلولان عند اليونان: أحدهما **نظري** وهو التفسير الفلسفي للوجود، والآخر **عملي** وهو اعتناق موقف خاص إزاء الحياة اليومية من النواحي الخلقية والسياسية والدينية (أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ص17)

وتعد **أشعار** **هوميروس** (وهي أول عمل أدبي في تاريخ اليونان) أولى الخطوات التمهيدية في طريق الفلسفة اليونانية... وظلت الإلياذة والأوديسة لقرون طويلة أساسا للتربية والتعليم اليوناني، حتى إن العامة كانوا يحفظون مطلعها.

ومن الأفكار التي وردت في الإلياذة وكانت تمهيدا للفلسفة ما يتصل بالأحداث التي تقع للناس وأن هناك قانونا وضرورة وراء وقوع هذه الأحداث، وأن الحوادث لها أسبابها ونتائجها، وأنه يجب التسليم بوجود قوانين خلقية، وبذلك فإن الإلياذة لم تكن عملا أدبيا فحسب، بل **كانت تمهيدا أصيلا لنشأة الفكر الفلسفي عند اليونان**، من حيث أنها كانت ميدانا لظهور فكرة القانون العام.

كان **العالم الخارجي الطبيعي وظواهره هو محور الفكر الفلسفي عند اليونان** في بداية الأمر، وكانت الفلسفة تضم العلوم المعروفة في ذلك الوقت، حيث اهتم الفلاسفة بالظواهر الطبيعية قبل أن يحاولوا تفسير أدوات إدراكنا لهذه الظواهر.

**طاليس:**

كان طاليس يجمع بين تجربة العالم وفكر الفيلسوف، وقد ذهب إلى أن **الماء هو أصل الأشياء**، وأنه العلة المادية والمادة الخام لها، وكان طاليس يريد أن يصل إلى مبدأ أوّل مادّي يفسّر به التغيرات المختلفة التي تطرأ على الظواهر الطبيعية، فرأى أن الماء هو العنصر الوحيد الذي يمكن أن يأخذ أشكالا مختلفة (سائل،غاز، جماد..)

وقد نسب أرسطو إلى طاليس القول بأن العالم مليء بالآلهة، ولكن تفسيرات الفلاسفة لهذا القول متباينة، فأيتيوس فسّر هذا القول بأن طاليس ربّما كان يعني أن للعالم عقلا، وشيشرون يقول إن طاليس كان يقول بعقل إلهي أوجد الأشياء من الماء.

وهكذا فإن أهم ما ميّز فلسفة طاليس أنه **حاول إرجاع الظواهر الكونية إلى أصل واحد على أساس منطقي، والنظر إلى العالم على أنه وحدة متناسقة في الوجود**.

**فيثاغورس**: بعد أنه اتّجه العقل اليوناني إلى المحسوس الخارجي يتلمّس الحقيقة في ثناياه اكتشف أن هذا **المحسوس يخضع لنظام معيّن، وأن الرياضيات هي التي تترجم عن هذا النظام**، وهكذا أراد الفيثاغوريون أن يكتشفوا ما تنطوي عليه المحسوسات من **نظام وترتيب تمثّله الأعداد والخطوط**، وبذلك نفذت الفلسفة إلى صميم المحسوس لتكشف عن حقيقته وتتجاوزه إلى **تجريد رياضي** هو **وسط بين المادة المحسوسة والميتافيزيقا** في بحث قضايا الوجود ومشكلاته.

وقد **اختلطت تعاليم الفيثاغوريين الروحية بآرائهم العلمية ونظرياتهم الرياضية**، ولكن الاتجاه الرياضي غلب عليهم، أما تعاليمهم الروحية فقد ضمّنوها كثيرا من آراء محترفي **السحر** والمؤمنين **بالخرافات**، وهو **تناقض عجيب** مع اهتمامهم بالرياضيات والأعداد.

لقد جمعت الطريقة التي أسسها فيثاغورس بين **حياة التقشّف والرياضة الروحية والفكر الرياضي**، ويقول الفيثاغوريون **بالتناسخ**، ويرون أن على الإنسان **مسؤولية تحرير** نفسه من **عجلة (دوران)** الميلاد أو دائرة الولادات المتعدّدة **لتتخلّص إلى الأعلى حيث السعادة التامّة**، وذلك بعد سلوك **طريق التطهّر من الحسّ وسائر العلائق الأرضية**، ومع أننا غرباء في هذه الدنيا – كما يقول الفيثاغوريون – وأن الجسم الذي يربطنا بها هو مقبرة للنفس، فلا ينبغي مع ذلك أن نتخلّص من هذه الدنيا بالانتحار، فما نحن إلا قطيع في كنف الإله، ولا يحقّ الهروب دون مشيئته.

أما الآراء العلمية للفيثاغوريين فمن أبرزها قولهم بأن **الأعداد مبادئ الأشياء جميعا**، وقد استمدوا هذا المبدأ من **الموسيقى**، حيث أن **التوافق** **والانسجام** الموسيقي واللحن تتحدّد بنسب رياضية مضبوطة لأطوال الأوتار في الآلات، ومن هنا فإن علينا أن نكشف عن **النسب** **الرياضية** للأعداد التي نفسّر بها الأشياء كما يحدث بالنسبة إلى الألحان الموسيقية.

وقد طبّق الفيثاغوريون **النسب الرياضية على دراستهم للكون والسماء** فلم يسلّموا بوجود عوالم لا متناهية كما قال غيرهم بل قالوا بوجود عوالم متعدّدة مرتّبة على هيئة مثلث.

وانتهوا من بحثهم للعدد إلى التعرض إلى مشاكل **الهندسة** فرأوا أن الخطوط تتكوّن من النقاط، وأن السطوح تتكوّن من الخطوط، ومن السطوح تتركّب الأحجام، وينسب إليهم **القول بكروية الأرض**.

وقد لاحظ بعض الدارسين **صلة بين حياة التقشّف والتطهّر التي أخذ الفيثاغوريون بها أنفسهم مع عكوفهم على التأمّل والكشف، وبعض تعاليم الفرق الصوفية المسيحية والإسلامية وحتى الوثنية**، (ولا سيما الفرق الباطنية منها...)

**السوفسطائيون :**

ظهر **تيار جديد** في الفكر عند اليونان، ذو نزعة نقدية تزعمها **السوفسطائيون** الذين **وجّهوا النظر إلى الإنسان وإلى المعرفة بعد أن كان موجّها إلى العالم الخارجي**، ومن عوامل ظهور هذا الاتّجاه الجديد **التطوّر** **السياسي والاجتماعي للمجتمع اليوناني**، وحاجة السياسيين إلى القدرة على المناظرة والجدل... فكان أن تولّى السوفسطائيون مهمّة تدريب الشباب على الجدل لإعدادهم للعمل السياسي.

كان السوفسطائيون يرون أن **المعرفة نسبية** (بخلاف سقراط الذي اتجه نحو البحث عن الصحة المطلقة للمعرفة الإنسانية)، وتميّز منهج السوفسطائيين **بالتشكيك في المعرفة الحسّية**؛ إذ **الحس** **خادع** قد يصوّر الحق باطلا والباطل حقا، ولذلك لا يمكن الاعتماد على هذه المعرفة في تكوين أي حكم عن العالم الخارجي.

وكان اهتمامهم السوفسطائيين موجّها إلى **التجارب** **العملية** وفق **منهج** **استقرائي** يستهدف **المنفعة** **والانتصار** على الخصوم **والسيطرة** على الحياة، وبذلك غيّر السوفسطائيون مجرى الفكر، وأحلوا فكرة **النسبيّة** **محل** **الموضوعية** عند الطبيعيين، وقد وجّهوا النظر إلى كيان الفرد وذاته، فقالوا إن **اللغة** **تعاقدية** **اصطلاحية**، وكذلك **العادات** **والقوانين**، وحتى **الدين** برأيهم، فهي كلّها نظم اجتماعية **نسبية** **ومتغيّرة** بحسب الزمان والمكان والحاجات، ومن أشهر أعلام السوفسطائيين **بروتاغوراس** **وبروديكوس** **وجورجياس** **وكريتاس**. ( أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي...)

**سقراط**

كان سقراط **خصما** عنيدا **للسوفسطائيين** وتلامذتهم من الأثرياء والنبلاء، وتعد فكرة **المنهج** أهمّ ما جاء به سقراط، حيث كان **منهجه** يقوم على **الحوار** **الاستنباطي** وتوليد القضايا من أجل الوصول إلى **تحديد المفاهيم** والماهيات والحقائق، **والانتقال من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئيات إلى الكلّيّات** للوصول إلى **المعنى الكلّي** أو الماهيّة، فلا يكفي في معرفة شيء ما الاقتصار على وجوده المحسوس، بل لا بد من معرفة ماهيّته المعقولة، والوصول إلى حدّه الكلّي، **فالمعنى الكلي هو الأصل والغاية**.

وأهمّ خطوات هذا المنهج السقراطي هو **توليد الحقائق بالحوار**، حيث كان يبدأ حواره بتصنّع الجهل وطرح **السؤال**، ثم ينتقل بالمحاور إلى **نتيجة** تترتب على جوابه، فيوقعه في **الحيرة** **والتناقض**، ثم ينتقل معه سقراط من نتيجة إلى نتيجة حتى **يفحمه** ويقرّ خصمُه بجهله ... ثم يبدأ المرحلة الثانية من الحوار حيث يلقي الأسئلة تباعا في **ترتيب** **منطقي** **مقصود**، حتى **ينتهي** **إلى** **الحقائق** **التي** **يريد** **الوصول** **إليها**. (عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ...)

لم يعارض سقراط فلسفة الطبيعيين التي كانت تبحث عن طبيعة الأشياء الخارجية وقوانين العالم المادّي، ولكنه رأى أن هناك فلسفة أجدر بالفلاسفة أن يدرسوها أكثر من جميع الأشياء المحسوسة من أشجار وحجارة تملأ الطبيعة، هذه **الفلسفة الجديرة بالدراسة عند سقراط هي عقل الإنسان ومستقبله.**

وكان سقراط **يحرص على تحديد المفاهيم والمعاني التي تشير إليها الألفاظ**، ويرى أن هذا الأمر ضروري حتى لا يترك المجال لأدعياء العلم الذين كان عدم التحديد يتيح لهم الفرصة للانحراف إلى **المغالطة** **والتشكيك** **في** **الحقائق**. وكان يبدأ الحوار بالسؤال عن أشياء تبدو بديهية ومعلومة للجميع ولكن المحاور يكتشف أن تحديد المعاني ليس أمرا هينا، وهدفه من وراء ذلك **تنبيه الأذهان إلى ضرورة التزام الدقة في اختيار الألفاظ**، وألا سبيل إلى استخراج المعاني الموجودة في النفس إلا بالحوار واحتكاك العقول والأذهان.

**العقل عند سقراط هو سبيل المعرفة لا الحس**، ذلك أن العقل ينتزع من أوصاف الجزئيات وعوارضها المحسوسة الاعتبارات **والمعاني** **الكلّية** **الثابتة** فيها، **كالمبادئ** **والقوانين** والأنواع **والحدود** وغير ذلك. وقد عدّ سقراط بذلك واضع **فلسفة** **المعنى** والكلّيات **ومؤسس** **العلم**.

وكان سقراط **يقول بوجود صانع حكيم مُدبّر لا يتصرّف جزافا**، **ولا يحكُم بالهوى، بل كلّ شيء عنده بمقدار، وكان يؤكّد أن الكون خاضع في وجوده وسيره إلى تدبير العناية الإلهية**، وأنه موجّه إلى غاية مرسومة تسير وفق خطّة معقولة، وكلّ ما فيه **مرتّب** **ترتيبا** من شأنه أن يحقّق **العدل** **والخير** **والجمال**، ويخدم الغايات العليا للإنسان.

وهكذا فإن سقراط **وجّه الفلسفة وجهة جديدة** لامس من خلالها **أشدّ قضاياها تعقيدا** وأكثرها خصوبة، كمسألة **الحقيقة المطلقة ودور العقل في الوصول إليها**، وقد كان هذا الاتجاه **أساسا** **لنظرية** **الُمثُل** **الأفلاطونية**، وعنصرا هامّا في **المنطق** **الأرسطي** بعد ذلك.